ميزان العدالة

التغريب السياسي

وآثاره على السعودية

تأليف

حمد العجمي

بسم الله الرحمن الرحيم

التغريب السياسي

ما المقصود بالتغريب السياسي؟!

يمكننا الوقوف على مصطلح (التغريب السياسي) عبر الوقوف أولاً على معنى التغريب ثم السياسة مفردًا ومن ثم ندلف إلى تعريف المصطلح مركبًا.

التغريب:

يُطلق «التغريب»، في الاصطلاح الثقافي والفكري المعاصر، غالبًا على «حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْذ بالقيم والنُّظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع الذي له هذا الموقفُ أو الاتجاه غربيًا في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، يَنظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قِيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرةَ إعجابٍ وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المثلى لتقدُّم جماعته أو أمته الإسلامية»[1].

[1] عمر التومي الشيباني: التغريب والغزو الصِّهْيوني، مجلة «الثقافة العربية»، ليبيا، ع.10، س.9، 1982، ص162.

وهذا المعنى قريبٌ من دلالة الفعل «غَرَّب» (To Westernize) في الإنجليزية؛ أي جعْل الشرق تابعًا للغرب في الثقافة وأساليب العيش وطرق التفكير[2].

والعجيب أن مصطلح التغريب نفسه ليس عربيًا، يقول دكتور محمد مصطفى هدارة: إن «اصطلاح «التغريب» ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم "Westernyation"، وكانوا يعنُون به نشْر الحضارة الغربية في البلاد الأسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القُوى المضادَّة التي تحفظ لهذه البلاد كِيانَها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها... وفي زوال هذه القوى ضمانٌ لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحرُّرها من نَيْر الاستعمار الغربي ظاهريًا»[3].

أما السياسة: فتعرِّفها موسوعة العلوم السياسية الصادرة عن جامعة الكويت، بأنها: (فن إدارة المجتمعات الإنسانية). وتبعًا لمعجم العلوم الاجتماعية: تشير السياسة إلى: (أفعال البشر التي تتَّصل بنشوب الصراع أو حسمه حول الصالح العام، والذي يتضمن دائمًا: استخدام القوة، أو النضال في سبيلها). ويذهب المعجم القانوني إلى تعريف السياسة أنها: (أصول أو فن إدارة الشؤون العامة)[4].

---

[2] OXFORD UNIVERSITY : OXFORD Advanced Learner's Dictionary, P1355

[3] محمد مصطفى هدارة: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، مجلة «الأدب الإسلامي»، مج.1، ع.2، 1994، ص8.

[4] انظر: موسوعة العلوم السياسية. إصدار جامعة الكويت ص102 فقرة (78).

أما السياسة عند الغزالي فهي: استصلاح الخَلق، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، المنجِّي في الدنيا والآخرة»[5].».

وعليه يمكننا القول إن التغريب السياسي هو محاولة استلهام الفكر السياسي الغربي في الحكم ونقله إلى الدول العربية والإسلامية.

والتغريب السياسي يأتي على مستوى الفرد والأمة أيضًا، فالتغريب على مستوى الفرد هو استلاب ثقافته وهويته ويعد الخطوة الأولى في سبيل تغريب واستلاب ثقافة المجتمع ككل.

إن التغريب السياسي يعني نقل التجربة الغربية بأسسها وقيمها وأفكارها السياسية إلى البلاد العربية والإسلامية. وهذا الأمر يحيلنا إلى محاولة فهم الفكر السياسي الغربي ومنظومة الحكم الغربية.

والفكر السياسي الغربي هو إفراز طبيعي لواقع ديني واجتماعي واقتصادي في سياق تاريخي محدد؛ ولذا فما يمكن وصفه بمنظومة الفكر السياسي الغربي كان نتيجة صراع طويل بين الكنسية والمجتمع، وصراع بين الحكام كملوك وأباطرة والمجتمع، وصراع بين طبقات كادحة وطبقة برجوازية متنفزة .. إلخ، الإشكالية ليست مع الفكر الغربي من حيث هو غربي فتلك هي منظومتهم يتحاكمون لها كيفما شاءوا، لكن الإشكالية الأكبر هي محاولة عولمة تلك المنظومة الفكرية في الحكم والأخلاق وجعلها المعيار الوحيد للتحضر والتقدم وفرضها على الشعوب والأمم فرضًا، إن عملية التغريب تجاه الدول الإسلامية والعربية هي بمثابة ثوب تم تفصيله بمقاسته لتناسب جسد صاحبه، ثم يراد للناس جميعًا أن تعدل من أجسامها ليصلح لها الثوب نفسه.

---

[5] إحياء علوم الدين ج1 ص12 ص طبع مصطفى البابي الحلبي القاهرة،وانظر أيضا: ابن خلدون، المقدّمة، تحقيق محمّد تامر، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينيّة، 2005)، 152-156.

أولا: مضمون الفكر السياسي الغربي:

تستند منظومة الفكر السياسي الغربي إلى ركيزتين أساسيتين العلمانية والليبرالية.

والعلمانية: هي حسب المراجع العلمية كما جاء في قاموس اكسفورد (العلمانية مفهوم يرى ضرورة أن تقوم الأخلاق والتعليم على أساس غير ديني)[6] وهي (مأخوذة من كلمة secularism وتعنى الدنيا والدنيوية[7] وهي (حركة تاريخية حملت الأفراد من داخل المجتمع الغربي من المجتمع (الثيوقراطي) الديني إلى المدنية الأرضية، وفى هذا السياق لم يعد الإنسان مجبرًا على تنظيم أفكاره وأعماله وفق معايير فرضت على أنها إرادات إلهية[8]

بإسقاط ما أشرنا إليه على الواقع السياسي في المملكة العربية السعودية، نجد أن ثمة عملية تغريب سياسي واضح تجري داخل النظام السعودي خلال الأعوام الأخيرة، **فأصبحت فكرة الدولة المصلحية التي تسعى لتحقيق مصالحها دون النظر إلى هويتها التي تأسست وقامت عليها، ودون النظر إلى موقعها كدولة رائدة لعموم المسلمين بوجود الحرمين الشريفين فيها، كل ذلك يتقلص مع الوقت ويجاهر ساستها ورموزها بهذا الأمر.**

فالمملكة العربية السعودية كان ينظر إليها وما زال – وإن تضرر هذا الدور في السنوات القليلة الماضية –، على أنها الداعم الأساسي للقضايا العربية والإسلامية، سواء في المحافل الدولية أو بتقديم الدعم المادي للمشاريع التي تخدم الجاليات الإسلامية في مختلف دول العالم. بدأت بالتخلي عن هذا الدور، وإعلاء شأن المصلحية في مفهومها الوطني الضيق.

---

6 العلمانية في الإسلام الأستاذة أنعام أحمد قدوح، ص 9 ، ص 10

7 Ency.Bribunnica vol .ixp .19

8 الأسس الفلسفية للعلمانية/ عادل ضاهر ص42.

فعلى سبيل المثال، كتب المستشار بالديوان الملكي السعودي، تركي آل الشيخ، في تغريدة له على تويتر، في مارس 2016 تعليقًا على تصويت المملكة للملف الأمريكي في استضافة كأس العالم على حساب الملف المغربي وإن كانت القضية ليست ذات بعد سياسي كبير، لكن لا يخفى موقع المتحدث وقربه من صانع القرار، وعليه فمثل هذا التصريح يعد نموذجا يشي بعقلية ورؤية من يديرون السياسة في المملكة وكيف استحوذ عليهم الفكر السياسي الغربي في النظر للقضايا السياسية يقول: "لم يطلب أحد أن ندعمه في ملف 2026، وفي حال طُلب منا سنبحث عن مصلحة المملكة العربية السعودية، واللون الرمادي لم يعد مقبولاً لدينا".

ويقول تركي آل الشيخ أيضا في حوار له مع شبكة بلومبيرغ: إن "قرار دعم أمريكا، يرجع بالأساس إلى ترجيح مصالح السعودية، على أي اعتبارات أخرى"، مردفًا أن نسخة كأس العالم لسنة 1994، التي أقيمت في الولايات المتحدة الأمريكية، هي "من أفضل نسخ كأس العالم التي شاهدها في حياته"، على حد تعبيره[9].

[9] خبر منشور على موقع العربية نت بتاريخ : الأربعاء 22 رمضان 1439 هـ - 06 يونيو 2018 بعنوان آل الشيخ: الأخضر سيحضر لبن "المراعي" معه في مونديال قطر، ويحتوي مقطع فيديو يصرح فيه تركي آل الشيخ بدعم الملف الأمريكي في كأس العالم

https://www.alarabiya.net/ar/sport/saudi-sport/2018/06/06/%D8%A2%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B6%D8%B1-%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D8%B6%D8%B1-%D9%84%D8%A8%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%85%D8%B9%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%88%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D9%82%D8%B7%D8%B1

ومن جهة أخرى فقد خطت العلمانية خطوات متسارعة في الأعوام القليلة الماضية منذ صعود محمد بن سلمان. **فالسعودية الجديدة لم تسمح فقط بهذه التحولات العلمانية السريعة بل تعمل على دفعها إلى حدها الأقصى، وفي نفس الوقت هناك خط أحمر وهو ألا يقترب أحد من المنطقة المحرمة: أي التحديث السياسي، بما هو تقييد وضبط للحاكم في مجال السلطة والمال.**

الإشكالية أن النظام السعودي أصبح يفرض العلمانية قسرًا على المجتمع بحيث تصبح دولة رائدة في المنطقة في تصدير العلمانية "الجاري اليوم هو هدم للصورة النمطية السابقة عن المملكة، ورسم صورة أخرى والبدء من جديد، إرضاء للغرب من أجل الاستمرار في الحكم، مهما كلف الثمن، ولو كان الصدام مع معتقدات وقيم المجتمع".

فمنذ تولي الأمير ‘‘محمد بن سلمان آل سعود’’، ولاية العهد في السعودية في يونيو2016، تسير الرياض بخطوات كبيرة نحو قطع صلة المملكة بالصفة الدينية والاتجاه نحو ‘‘علمنة قسرية’’.

ومن هذا المنطلق فإن هناك الكثير من الأشياء التي تشهدها السعودية للمرة الأولى في تاريخها، منها الإعلان عن ‘‘روزنامة الترفيه’’، التابع للهيئة العامة للترفيه في السعودية، عن إقامة حفلات غناء ورقص واستضافة الساقطين من المغنيين والموسيقيين العرب والأجانب والاحتفاء بهم في بلاد ما كان لأحد أن يتخيل منذ بضعة سنوات أن تطأ أقدامهم تلك البلاد الطاهرة. كما شهدت المملكة انطلاق أول حفل للأوبرا تحت عنوان ‘‘عنتر وعبلة ، كما توافد السعوديون على أول مهرجان لموسيقى الجاز يشهده البلد.

ويأتي الإعلان عن مشروع دار الأوبرا، بعدما وافق مجلس إدارة ‘‘الهيئة العامة للمرئي والمسموع’’ السعودية، على إصدار تراخيص لفتح دور للعرض السينمائي في المملكة العربية

السعودية، وذلك بعد 35 عاماً من الحظر.. ولأول مرة في تاريخ السعودية أيضًا، سمح للنساء حضور مباراة كرة قدم، ويسمح للنساء البالغات بدخول ملاعب كرة القدم في السعودية للتشجيع في ثلاث مدن رئيسة هي ‘‘الرياض وجدة والدمام’’.

كما نظمت السعودية أول بطولة إسكواش للنساء، كما استضافت مدينة جدة بطولة الجامعات لكرة السلة للنساء، بحضور أكثر من ثلاث آلاف امرأة للتشجيع في المدرجات.

وفي شهر سبتمبر من عام 2017، سمحت السلطات السعودية للمرة الأولى للنساء بحضور احتفالات العيد الوطني للبلاد مع عائلاتهم على مدرجات ‘‘إستاد الملك فهد الدولي’’ في الرياض. وفي 27 سبتمبر 2017، أعلنت الهيئة العامة للرياضة بالرياض، إتاحة مشاركة النساء السعوديات في فعاليات اليوم العالمي للمشي، الذي أقيم في 29 سبتمبر من نفس العام وكانت هذه هي المرة الأولى التي تشارك فيها النساء في المهرجان وهن يجرين في الطرقات أمام عامة الناس.

وفي أكتوبر من العام 2017، بدأت القناة الثقافية السعودية سهرة فنية لـ‘‘أم كلثوم’’، كما أذاعت إحدى الحفلات الغنائية للمطرب ‘‘عبد الحليم حافظ’’، وذلك بعد توقف عن إذاعة الحفلات الطربية، خصوصا النسائية، منذ نحو 3 عقود.

تؤشر كل تلك الأحداث إلى أي مدى يتبنى النظام السعودي العلمانية الغربية، ومحاولة زرعها في المجتمع السعوي.

وأما الأساس الثاني (الليبرالية):

إن، الليبراليَّة هي مصطلح غير عربي تم نحته من كلمة "LIBERALISM" اللاتينية، وهي تعني التحررية، ويعود اشتقاقها إلى لفظ "LIBERALIS" أو "liber"، والتي تعني "الشخص

الكريم، النبيل، والحر"، و"LIBERTY" في الإنجليزية وفي اللغات المنتمية إلى عائلة اللغة اللاتينية، معناها "الحرية". والليبراليَّة مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الفرد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية الفكر، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها، ولهذا يسعى هذا المذهب إلى وضع قيود على السلطة وتقليل دورها، وإبعاد الحكومة عن السوق وتوسيع الحريات المدنية.

وإذا كان لليبرالية من جوهر فهو التركيزَّ على أهمية الفرد وضرورة تحرره من كل نوع من أنواع السيطرة والاستبداد، فالليبرالي يصبو على نحو خاص إلى التحرر من التسلط بنوعيه: تسلط الدولة (الاستبداد السياسي)، وتسلط الجماعة (الاستبداد الاجتماعي)، تسلط القيم والمفاهيم، لذلك نجد الجذور التاريخّية لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته، معارضة في كثير من الأحيان للتقاليد والأعراف والسلطة رافضة جعل إرادة الفرد مجرد امتداد لإرادة الجماعة[10]، وتنقسم الليبرالية إلى عدة أنساق منها السياسي والاقتصادي والفردي.

الليبرالية الفردية:

يضع هذا المفهوم الإنسان على رأس سلم الأولويات. بحيث يمكن تحقيق أكبر درجة من حقوق الفرد وحرياته، عند تعامل الدولة مع الإنسان كفرد. بعبارة أخرى، المنفعة بالنسبة للإنسان هي منفعة شخصية، فقد أقيمت الدولة من قبل المواطنين لحماية حقوقهم وللحفاظ عليها. ويمكن إرجاع ميلاد الفكر الليبرالي بمدلوله الفردي إلى القرن الثامن عشر، أي إلى نظرية العقد الاجتماعي التي ستنتهي بفعل التحولات السوسيولوجية والسياسية التي شهدها عصر الأنوار، إلى اندلاع الثورات (الإنجليزية والفرنسية..)، التي كانت إيذانًا بالانتقال من النمط المجتمعي التقليدي الإقطاعي إلى نمط مجتمعي بورجوازي ليبرالي.

---

10 الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الثاني – القسم الثاني –1155.

والحقيقة أنه لا يمكن إيجاد حدود قطعية بين أنساق الليبرالية المختلفة فهي كتلة واحدة متعددة الاتجاهات وإنما محاولة التمييز تأتي كأداة للفهم فقط، حيث يقوم بعض المستبدين بتفكيكها ونشر بعض أجزائها بين الشعوب وإمساك بعض. حيث توصف الليبرالية الفردية بقصر الحرية على المجال الأخلاقي والديني فقط دون الحريات السياسية.

وفي إطار سياق الليبرالية الفردية نجد أن الدولة السعودية تدفع المجتمع نحو دعم هذا النمط الغربي، فالإصدار الجديد من المملكة قام على أفكار دعم الحرية الفردية حيث يروج ولي العهد السعودي لنفسه أنه المصلح الذي دعم الحريات الشخصية والفردية مثل السماح للمرأة بقيادة السيارة وتخفيف القيود على حرية الملبس وسحب صلاحيات هيئة الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، وفتح السينمات وإنشاء الأوبرا.

النسق الآخر لليبرالية هو الليبرالية السياسية وتعرف كما جاء في موسوعة لالاند الفلسفية: بأنها "مذهب سياسي يرى أن من المستحسن أن تزّاد – إلى أبعد حد ممكن – استقلالية السلطة التشريعية والسلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية التنفيذية، وأن يعطى للمواطنين أكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسف الحكم"[11].

وخلاصة القول إن لليبرالية عددًا من الأنساق: الليبرالية السياسية، الليبرالية الفردية، الليبرالية الاقتصادية، وفي حال تشبع مجتمع ما بإطار ليبرالي في مجال من المجالات، فلا شك أن ذلك سينسحب على بقية أنساق الليبرالية. ما يعني أن **نشر الليبرالية الفردية سيتبعه بلا شك تشكل مجموعات من الشباب تعمل على التمرد السياسي والمطالبة بإصلاحات سياسية**، على نحو ما حدث في مصر من نشأة حركة (6إبريل) وهي مجموعات شبابية لا علاقة لها بالأطر السياسية المعروفة من أحزاب وجمعيات، لكنها شكلت ضغطًا كبيرًا على منظومة الحكم في مصر.

---

11 عبد الرحيم بن صمايل السلمي الليبرالية نشأتها ومجالاتها

الإشكالية الكبرى أن هناك سعيًا حثيثًا داخل المملكة للتمكين لليبرالية الفردية ظنًا من محمد بن سلمان أنه يمكن الفصل بين الليبرالية الفردية والليبرالية السياسية بحيث ينشر الأولى ويمنع الثانية، وهذا وفقا للسنن الاجتماعية وعلم الاجتماع السياسي يسبب مشكلات كثيرة تهدد الاستقرار السياسي؛ فالرغبة الجامحة لدى ولي العهد في فرض الليبرالية الغربية على المجتمع قسرًا، سيصطدم حتماً بالمعتقدات الدينية المترسخة لدى المجتمع السعودي. وسيتمايز السعوديون إلى تيارين أحدهما محافظ ويمثل المجتمع، والآخر ليبرالي ويمثل الدولة والنخب المحيطة بها. لذلك سيكون من المتوقع تفجر صراع بين التيارين مما ينشئ حالة من عدم الاستقرار داخل المملكة.

ثانيًا: مظاهر التغريب السياسي في المملكة

1. اتخاذ الميكافللية الغربية أداة لإدارة شؤون الحكم.

يعد المفكر الإيطالي نقولا مكيافيللي الرائد المؤسس للفكر السياسي الغربي الحديث بحيث أصبح كتابه "الأمير" موضوعاً للتأمل والملاحظة والتقييم والبحث والدراسة والتحليل والنقد وبات يتعامل معه الدارسون والمهتمون باعتباره أحد أهم مدونات الفكر السياسي الغربي، حيث إنه أسس منهجًا جديدًا في السياسة، فأفكاره تعد نقطة تحول هامة في الفكر السياسي الأوروبي إذ إنها تجاوزت السلطة الدينية التي كانت سائدة في الفكر السياسي في القرون الوسطى، وأكملت بتطورات أخرى من طرف فولتير ومنتسكيو وجون لوك وجان جاك روسو وغيرهم من المفكرين التنويريين الليبراليين. وهكذا كان ميكافيلي نقطة تحول هامة في تاريخ الفكر السياسي.

وفي نظرة سريعة لكتاب نقولا مكيافيللي الأهم والمسوم بـ"الأمير" والذي سطر به رؤيته السياسية، نجد أن استراتيجيته الأساسية تنصب على محو الأخلاق من الفعل السياسي، واستباحة أي وسيلة للبقاء في السلطة.

يقول ميكافيللي في كتابه: على الأمير الراغب في عدم زوال سلطانه عدم التحلي بالفضائل ولا يعبأ بها. لأن الغرض من السياسة هو "الحفاظ على القوة السياسية وتدعيمها" وهو معيار نجاح السياسي أو فشله، بغض النظر عن ممارساته السياسية هل هي قاسية أو غادرة أو غير مشروعة.

ومن أقواله أيضا في ذلك الكتاب: على الأمير أن لا يكون طيبًا على الدوام في تعامله وعلاقته برعاياه.. بل عليه أن يعرف متى يكون طيبا ومتى يكون عكس ذلك، وكل ذلك وفقا لما تقتضيه الضرورة ومصلحته أيضًا. وعلى الأمير أن لا يكون كريمًا على نحو يؤدي إلى فقره، لأنه إن أصبح فقيرًا انصرف رعاياه عنه.

كما عليه أن يكون قاسيًا إزاء رعاياه، لأنه في وجهة نظره أن الرحمة تؤدي إلى الفوضى أما القسوة فهي أساس النظام وعموده، بحيث إنها تقضي على الفتنة وتوحد الشعب، فيقول: إن أصل البشر شريرون، شرهون، حسودون، غيورون، نهمون في رغباتهم ساخطون دائمًا، ومنافقون، وخبيثون، ومبتذلون، يتسامحون بمقتل أبيهم ويجزعون إن سلبت أمواله .. موجز القول "أن تكون سياسة الأمير مع محكوميه لا تهتم ولا تعبأ بقضايا الأخلاق كشأن العدل، الظلم، الخير، الشر .. إلخ.

بحيث **إن غاية الأمير النهائية هي التمكين لسلطانه، والتعظيم لقوته، ولكي يتحقق ذلك عليه اللجوء إلى العديد من الوسائل بغض النظر عن أخلاقياتها، فتحقيق ذلك الهدف ممكن أن يستدعي الأمير إلى اللجوء للرذائل.**

وأيضًا ينصح ميكافيلي "على الصعيد الخارجي" بأن ينهج الأمير نهج القدماء فيكون جامعاً في تصرفاته بين أسلوب الإنسان، وأسلوب الحيوان. أما بالنسبة لما يتعلق بالعهود والوعود التي يقطعها الأمير على نفسه ينبغي عليه أن لا يراعي الضمير فيها لأن في ذلك تأثيراً سلبياً عليه.

ويعزز ميكافيلي هذه النصيحة بقوله: "إن هذا الأسلوب لا يكون طيبا لو أن الناس جميعا كانوا خيرين، غير أنهم أشرار لا يراعون عهدًا لأحد، وبالتالي لا تراع أنت ما قطعته على نفسك من عهود ووعود إزاءهم، كذلك بأن الوفاء هو من الصفات التي لا يتحلى بها بنو البشر، ومن هنا فمن غير الحكمة أن تراعي عهدًا أعطيته إذا كان في ذلك ما يضر بمصلحتك، أو إذا كانت الأسباب التي دفعتك إلى إعطائه قد اختلفت، وأنت لن تجد أية مشقة على الإطلاق في إيجاد الأعذار من أجل تزيين حنثك بالعهد. هذه هي خلاصة كتاب ميكافيللي الذي يعد درة تاج الفكر السياسي الغربي ونقطة التحول الرئيسة في التطور السياسي الغربي، ولا شك أن أفكار الكاتب متناقضة تماما مع الرؤية والنمط الإسلامي للحكم فضلاً عن القيم والشيم العربية والتقاليد التي توارثها الحكام والملوك في العالم الإسلامي، وخاصة في دول الخليج ذات الطابع العربي ذو الأصالة.

ويتبدى مدى تغلل هذا الفكر السياسي الغربي (الميكافيللي) في العديد من تصرفات الأمير محمد بن سلمان.

ففي قضية حصاره لدولة قطر ضرب محمد بن سلمان عرض الحائط بكثير من الأعراف والأخلاق سواء بالمعيار السياسي المعتاد أو بالمعيار الأخلاقي العربي المعهود. فلم تشهد المملكة خروجًا عن النمط الأخلاقي بالطعن في الأنساب وتفريق الأسر على نحو ما حصل في حصار دولة قطر.

كذلك كانت قضية مقتل الصحفي جمال خاشقجي بالطريقة البشعة التي تابعها العالم أجمع، تشير إلى ميكافللية طاغية لدى الأمير كما يقول ميكافيللي "غاية الأمير النهائية هي التمكين لسلطانه، والتعظيم لقوته، ولكي يتحقق ذلك عليه اللجوء إلى العديد من الوسائل بغض النظر عن أخلاقياتها، فتحقيق ذلك الهدف ممكن أن يستدعي الأمير إلى اللجوء للرذائل".

لقد تابع العالم أجمع تفاصيل مقتل الصحفي السعودي من داخل قنصلية بلاده، وكانت الأخبار تتداول عن بشاعته وفي الخلفية صورة القنصلية وفوقها يرفرف علم المملكة حاملاً كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

وكذلك كانت حملة اعتقالات فندق الريتز كارلتون مؤشرًا آخر على مدى القسوة واتباعه لنصائح ميكافيللي في أن " تكون سياسة الأمير مع محكوميه لا تهتم ولا تعبأ بقضايا الأخلاق كشأن العدل، الظلم، الخير، الشر .. إلخ. فكان مِن مَن اعتقلهم محمد بن سلمان أولاد عمه ورجال الأعمال والمسؤولين والوزراء السابقين، ثم يتم الإفراج عنهم بعد أشهر وذلك بدعوى قضايا فساد مالي فإن كانوا فاسدين لماذا تم الإفراج عنهم دون محاكمة ولا عقاب؟ وإن كانوا غير ذلك فكيف يتم التصريح أنهم دفعوا أموالهم للخروج حتى بلغ مقدار ما جمع منهم 100 مليار دولار على حد تصريح لجنة قضايا مكافحة الفساد.

2. إضعاف المؤسسة الدينية وتحجيم دورها المجتمعي.

فجوهر العلمانية هو فصل الدين عن شؤون الحياة وإبعاده عن دائرة التأثير في المجتمع، وأول خطوات التغريب السياسي في أي مجتمع هو عزل الدين عن الحياة سواء من خلال إضعاف مؤسساته أو اعتقال رموزه أو إسقاطه من نفوس الناس، ولأن المملكة ذات شأن مختلف عن بقية الدولة إذ طبيعة تأسيسها قامت على نشر التوحيد وتطبيق الشرع، فإن التخلي عن تلك الطبيعة التأسيسية والقفز إلى علمانية الغرب سيكون لها ما بعدها.

إن استثمار السعودية في الوهابية كان بطلب من الحلفاء خلال فترة الحرب الباردة، كانت هذه كلمات محمد بن سلمان في معرض دفاعه عن اقتران اسم السعودية بالحركة الوهابية، وتزامن هذا مع بعض الإجراءات التي نفذها محمد بن سلمان التي تروج للصورة "الليبرالية" للمجتمع السعودي،

وكان من بينها الإعلان عن تعيين سيدة في منصب نائب وزير العمل للمرة الأولى في تاريخ الدولة السعودية.

يمكن القول إنه كان هناك علاقة ارتباط بين الوجه الإسلامي للسعودية وتأسيس الدولة السعودية، امتدت تلك العلاقة لأكثر من قرنين زمنيين، وبالتحديد منذ قيام الشيخ محمد عبد الوهاب. ورغم الارتباط الظاهري والعلاقة بين آل سعود وآل الشيخ، إلا أنه يمكننا وصف نظام الحكم السعودي بأنه نظام علماني يستغل الدين لتحقيق أهدافه والشرعنة لسلطته؛ ذلك أن هناك فصلًا فعليًا للدين عن شئون السياسة واتخاذ القرار، ولا يحق للمشايخ والعلماء سوى الحديث في بعض الأمور العقيدة والعبادات. هذا الوصف بالطبع إلى ما قبل محمد بن سلمان إذ دشنت مرحلته تضييق المجال حتى في قضايا العبادات والأمر والنهي، لتتجه المملكة إلى العلمانية السافرة المعلنة.

كان هناك دوافع أخرى وراء ليبرالية ابن سلمان، منها تغيير الصورة الذهنية للمملكة في الغرب، ما يفسر لجوئه إلى الترويج لنفسه كقيادة "ليبرالية" شابة تصعد في المنطقة، تؤمن بحقوق المرأة وتحاول تحديث المجتمع السعودي، وتضعف إيمان المجتمع السعودي بالقيم الدينية المتزمتة في نظرهم.

يشار كذلك "أن ابن سلمان قد ساهم في الحد بشكل كبير من دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث منعها من إلقاء القبض ومعاقبة المواطنين، وذلك في أبريل سنة 2016. **وحدد دورها بمرسوم ملكي فيما يلي:**

تتولى الهيئة تقديم البلاغات في شأن ما يظهر لها من مخالفات أثناء مزاولتها لاختصاصها المنصوص عليه في المادة (السادسة) من هذا التنظيم بمذكرات إبلاغ رسمية إلى الشرطة أو الإدارة العامة لمكافحة المخدرات / بحسب الاختصاص / وهما وحدهما الجهتان المختصتان /

بموجب الأحكام المقررة نظاماً / بجميع الإجراءات اللاحقة لتلك البلاغات بما في ذلك إجراءات الضبط الجنائي والإداري والتحفظ والمتابعة والمطاردة والايقاف والاستجواب والتثبت من الهوية والتحقيق والقبض في أي بلاغ ذي صلة باختصاص الهيئة.

يباشر أعضاء الهيئة الاختصاص المنصوص عليه في المادة (السادسة) من هذا التنظيم في الأسواق والشوارع والأماكن العامة، وذلك خلال ساعات عملهم الرسمي المرتبة والمجدولة بشكل رسمي من قبل إدارة كل مركز. وليس لرؤساء المراكز أو أعضاء الهيئة إيقاف الأشخاص أو التحفظ عليهم أو مطاردتهم أو طلب وثائقهم أو التثبت من هوياتهم أو متابعتهم والتي تعد من اختصاص الشرطة والإدارة العامة لمكافحة المخدرات وفقاً للفقرة (واحد) من هذه المادة."

لم يواجه العقد التاريخي بين الملكيّة والمؤسسة الدينية أي تحدٍ حقيقيّ من قبل بمثل هذا المستوى، فقد أُعيد تصميم وتفسير المؤسسة الدينية في فترات الانتقال والأزمات لتعكس تغيّرات علاقات القوى بشكل أفضل، ولتتيح للشريكين أن يتحرّكوا بكفاءة أفضل. لكن الذي يقوم به النظام السعودي الآن هو عملية فسخ حقيقية للعقد بين الوهابية والملكيّة، لذا فإن كان النظام يرجو أن يستمر فهو في حاجة لإيجاد بديل اجتماعي. وفي الوقت الحالي لا يملك الأمير محمّد دعمًا كاملًا من النخب والسكان، ولا وضعًا اقتصاديًا سليمًا في سياق مرغوب، ليس لديه إلا ميوله الشخصيّة، ورغبته الجامحة في التغيير.

ما يؤكد ميل المملكة لإدارة ظهرها للمؤسسة الدينية وفسخ التعاقد معها ما صرح به السفير الإماراتي بواشنطن يوسف العتيبة، الذي قال: إن "ما تريده الإمارات والسعودية والأردن ومصر والبحرين هو حكومات علمانية".[12]

يمكن التأريخ لحركة فك الارتباط مع المؤسسة الدينية مع صعود محمد بن سلمان إلى المراتب الثلاث الأولى بمؤسسة الحكم السعودي في عام 2015، ثم تسلمه ولاية العهد، حيث بدأ التحول الحقيقي عن المؤسسة الدينية، لا سيما بعد إعلان إطلاق رؤية 2030 التنموية، التي قال بن سلمان نفسه: إنها "ستجعل من السعودية دولة على النمط الحديث".

واللافت للانتباه أن ابن سلمان اتهم صراحة تيار "الصحوة" بالتطرف، علماً أنه لم يعرف عن هذا التيار أي نشاط سياسي أو مسلح ينشر أفكاراً "متشددة" كالقاعدة و"داعش".

يؤكد ابن سلمان أن بلاده "ليست مستعدة لإضاعة 30 عاماً في محاربة الأفكار المتطرفة"، التي ربطها بـ"مشروع الصحوة". وقال: "مشروع الصحوة والتطرف انتشر في المنطقة بعد عام 1979 لأسباب كثيرة، فلم نكن بهذا الشكل في السابق، نحن فقط نعود إلى ما كنا عليه، إلى الإسلام المنفتح على جميع الأديان والتقاليد والشعوب".

---

[12] خبر على موقع الجزيرة نت بتاريخ 29/7/2017 بعنوان : العتيبة: نريد حكومات علمانية بخلاف قطر على الرابط التالي:
https://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/7/29/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AA%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D9%86%D8%B1%D9%8A%D8%AF-%D8%AD%D9%83%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B3%D8%B7

وأن "70% من الشعب السعودي تحت سن الـ30، وبصراحة نريد أن نعيش حياة طبيعية تترجم مبادئ ديننا السمح وعاداتنا وتقاليدنا الطيبة، ونتعايش مع العالم ونسهم في تنمية وطننا والعالم".

وتوعد بن سلمان بالقضاء على ما سماه "بقايا التطرف" في القريب العاجل، مضيفاً: "اتخذنا خطوات واضحة في الفترة الماضية بهذا الشأن، ولا أعتقد أن هذا يشكل تحدياً، فنحن نمثل القيم السمحة والمعتدلة والصحيحة، والحق معنا في كل ما نواجه".[13] فالمؤسسة الدينية تتعايش مع أسرة آل سعود منذ منتصف القرن الثامن عشر فتمنحها شرعية الحكم الإسلامي مقابل نفوذها النسبي على قطاعات مهمة من الدولة مثل التعليم والقضاء وشبكة من المساجد وبعض الجامعات.

سعت السعودية منذ تولي ولي العهد محمد بن سلمان، إلى تقليل النفوذ الديني داخل المملكة وحصر دور المؤسسات والهيئات العلمية على تحريم المعارضة السياسية للنظام، والإفتاء بضرورة السمع والطاعة والولاء الكامل للحاكم في كل الأحوال، حتى ولو كان على غير الصواب، ولو كان ذلك بالصمت أحياناً، أو بتأويل شديد التكلف وظاهر التهافت في بعض الأحيان.

ولعل التصريحات التي أدلى بها إمام الحرم المكي الشيخ عبد الرحمن السديس، بخصوص الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها، تجسد هذا التوجه بصورة لا تقبل الشك، وتكشف كيف تحول بعض رجال الدين إلى أداة لدعم النظام وتوجهاته بصرف النظر عن تعارضها مع أحكام الشرع، حيث قال في مقابلة مع قناة "الإخبارية السعودية": "السعودية والولايات المتحدة قطبا هذا العالم في

---

13 التسامح.. السعودية الجديدة، جريدة الرياض الثلاثاء غرة ربيع الآخر 1439هـ - 19 ديسمبر 2017م.

http://www.alriyadh.com/1647546

التأثير، وبزعامة الملك سلمان بن عبد العزيز، والرئيس الأمريكي دونالد ترامب، يقودان العالم والإنسانية إلى مرافئ الأمن والسلام والاستقرار والازدهار".[14]

3. التخلي عن الدور الأممي الإسلامي بوصف المملكة دولة دينية مدافعة عن قضايا المسلمين.

ذكرنا قبل ذلك كيف صرح مسئولون سعوديون على أن المصلحة الاقتصادية والسياسية للدولة هي المحرك الأساسي والوحيد لاتخاذ القرارات، ويبدو أن تلك التصريحات أصبحت حقيقة سياسية تمارس على الأرض، وتم التخلي حتى عن القشرة الخفيفة التي كانت يتدثر بها النظام السعودي من الدعم المعنوي أو الاستنكار وإبداء الرفض السياسي لبعض الانتهاكات التي تطال المسلمين في العديد من الدول.

فعلى سبيل المثال في قضية الروهينجا الأقلية المضطهدة من قبل الأغلبية البوذية في بروما: فإن أكثر من 500 ألف قد نزحوا إلى بنجلاديش في أواخر عام 2018م فقط، هربًا من مذابح وصفت «بالمثال الحقيقي للتطهير العرقي» وفقًا لتصريحات مسئول مفوضية حقوق الإنسان بالأمم المتحدة.

وتملك بورما على أراضيها أنبوب نفط، قيل إنه سيغير الموازين الإستراتيجية بالمنطقة، يحمل هذا الأنبوب النفط من الخليج العربي إلى مقاطعة «يونان» الصينية، بطول يبلغ 771 كيلومترًا. يبدأ

---

[14] خبر موقع صحيفة القدس العربي بتاريخ 18 - سبتمبر – 2017 بعنوان : السديس: السعودية وأمريكا قطبا العالم (فيديو) على الرابط التالي:
https://www.alquds.co.uk/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AF%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%A7-%D9%82%D8%B7%D8%A8%D8%A7-/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D9%88

الأنبوب عند خليج «البنغال» غربي بورما، في ولاية «راخينا» حيث تدور مذابح التطهير العرقي. ويعد هذا الأنبوب أول ناقل أرضي للنفط من الشرق الأوسط إلى الصين، وهو يؤمّن مدخلات الصين يوميًا من النفط، مانحًا إياها ميزة إستراتيجية على الدول الآسيوية الأخرى أمثال اليابان وكوريا الجنوبية، كما يخفض من تكلفة الحصول على النفط بالنسبة إلى الصين، وتبلغ إجمالي سعته اليومية ما يتخطى 440 ألف برميل من النفط (أكثر من 160 مليون برميل سنويًا).

ورغم أن تصدير النفط إلى الصين يمثل مصلحة للمملكة إلا أنه يمثل مشروعا اقتصاديا ناجحا أيضا بالنسبة للصين وبورما ومع ذلك لم تسع المملكة لاستغلال هذا الجانب الاقتصادي للضغط على حكومة بورما لتخفيف الوطأة على مسلمي الروهينجا أو موقف المذابح تجاههم، إعلاء للمصلحة الاقتصادية الآنية على مجرد الاستنكار لما يحدث للمسلمين الروهينجا.

وفي سياق مشابه أحبط ولي العهد السعودي محمد بن سلمان آمال مسلمي الإيغور في إثارة قضيتهم خلال زيارته الأخيرة إلى بكين، وبارك ضمنيًا قمع الصين لهم، ووقع عشرات الاتفاقيات معها تتعدى قيمتها 28 مليار دولار.

وخلال لقائه بنائب رئيس مجلس الدولة الصيني هان تشنغ في بكين قال ابن سلمان "للصين الحق في اتخاذ تدابير لمكافحة الإرهاب والتطرف لضمان الأمن القومي". مضيفًا أن "السعودية تحترمها وتدعمها ومستعدة لتعزيز التعاون معها"[15].

---

15 خبر على موقع: Euronews بتاريخ • آخر تحديث: 22/02/2019 بعنوان بعد زيارة بن سلمان لبكين.. السعوديون سيتحدثون الصينية.. وصفقات بـ 28 مليار دولار على الرابط التالي:

https://arabic.euronews.com/2019/02/22/trade-agreements-worth-28-billion-dollars-between-china-and-saudi-arabia

ونقلت وكالة الصين الجديدة الرسمية عن هان قوله خلال اجتماعه ببن سلمان "إن على الدولتين تعزيز الشراكات في مكافحة الإرهاب وتطبيق القانون وتبادل الخبرات في مكافحة التطرف". وذكر موقع فرانس24 أن ولي العهد السعودي "أعرب عن دعمه للسياسة الصينية بإقامة معسكرات اعتقال لمسلمي الإيغور في الصين".

وأضاف أن الرئيس الصيني أشاد بالعلاقات بين الدولتين، قائلا إنهما سوف يتعاونان بشكل أكبر في مجال مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط.

وكانت جهات من مسلمي الإيغور ناشدت ولي العهد السعودي كي يضغط على السلطات الصينية لتغيير إجراءاتها تجاههم في إقليم شينغيانغ غرب البلاد.

وشهد الإقليم الذي يشكل الإيغور غالبية سكانه، توترًا شديدا واعتداءات دامية قبل أن تفرض عليه في الأعوام الأخيرة رقابة شديدة من جانب الشرطة. ويقول خبراء ومنظمات حقوقية إن حوالي مليون مسلم محتجزون في مراكز لإعادة التأهيل السياسي في الإقليم[16].

---

[16] خبر على موقع الحرة، بتاريخ 28 نوفمبر، 2018 ، مسلمو الأويغور.. الصين تهدد الولايات المتحدة، على الرابط التالي:

https://www.alhurra.com/a/%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%8A%D8%BA%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D9%84%D9%88%D8%AD-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9/469877.html

ومن جهة أخرى تتجه السعودية للتخلي عن اهتمامها بقضية المسلمين الأولى (فلسطين، والقدس) ويتضح ذلك من التصريحات والتسريبات المتتالية عن دور المملكة فيما يسمى بصفقة القرن، وفي هذا السياق تقول الفايننشال تايمز بأن ليس إدارة ترامب فقط تقدم الدعم غير المشروط لإسرائيل، بل هناك دعم غير مسبوق من السعودية والإمارات، وابن سلمان لا يهتم بقضايا مثل فلسطين والقدس. فقد نشرت صحيفة CNBC الأمريكية مقالاً تقول فيه بأن هناك دعمًا كبيرًا من ترامب لابن سلمان لإقامة شراكة قوية مع اسرائيل وابن سلمان يحاول تغيير البلد ثقافياً وإبعاد رجال الدين المعادين للسامية[17]. واليوم الإعلام الرسمي يتبنى هذه الرؤية ويدعم التطبيع ويجمّل الصهاينة وينتقد حماس والمقاومة. ووفي مقابلته مع The Atlantic يقول ابن سلمان:

(هناك الكثير من المصالح التي نتقاسمها مع إسرائيل، وحماس تهدد الأمن القومي للمملكة والإسرائيليون لهم الحق في العيش على أرضهم)[18].

4. سياسة الإلهاء بالترفيه

في هذا السياق يمكننا أن نشير إلى استراتيجية الترفيه التي أعلنها رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للترفيه السعودية، تركي آل الشيخ، في حفل أقيم بالعاصمة الرياض في أواخر شهر يناير 2019، والتي تهدف إلى جعل المملكة من بين أول أربع وجهات ترفيهية في منطقة آسيا، وبين أول عشر على مستوى العالم. حسب رؤية تركي آل الشيخ.

---

17 https://www.cnbc.com/2017/12/01/why-saudi-prince-bin-talals-friends-havent-protested-his-arrest-commentary.html

18 https://www.theatlantic.com/international/archive/2018/04/mohammed-bin-salman-iran-israel/557036/

فقد نقلت وكالة الأنباء السعودية عن تركي آل الشيخ، قوله في مؤتمر صحفي: إن المملكة ستستضيف برنامج "الحصن"، الأشهر عالميًا في مسابقات الترفيه، وكذلك العمل على إنتاج برنامج "ذا فويس" بالنسخة السعودية، وإقامة أكبر نسخة من مسابقات البلوت والتركس في 13 منطقة في المملكة، ومسابقة إطلاق المدفع، وركوب الثيران المحترفة، والدخول في مفاوضات لاستقطاب إحدى مباريات دوري السلة الأمريكي "NBA".

وكما يقول "داريل زانوك" مؤسس شركة الإنتاج الأمريكية "فوكس للقرن العشرين" والذي توفي عام 1979: إنه إذا كان لديك شيء تقوله وتنشره فمن المفيد أن تضعه في جلباب الترفيه، وستجد سوقًا جاهزة والأكثر نجاحًا في تعميم ما تقوله، أو ما تريد ترويجه من أفكار وأيديولوجيات.

هذا تمامًا ما أراده النظام السعودي وهو الترويج لمجتمع آخر غير المجتمع المسلم المحافظ، ولن يقضي على هذا النمط إلا الترفيه، فالجوانب النظرية والسجالات النظرية والعقلية ونشر الكتابات الليبرالية كلها لن تحقق هدف خروج المجتمع عن نمطه المتدين، لكن من خلال القالب الترفيهي يمكن نشر ما تشاء من أفكار وأيدولوجيات حيث تتخلل تلك البرامج الترفيهية العديد من الرسائل التي يمكن أن تغير مسار قيم المجتمع، وهي عملية تصنيع ثقافة جاهزة ودمجها في حياة الأفراد.

ثقافة الإلهاء هي أيضًا سياسة تتبعها الأنظمة الحاكمة لتزييف وعي الناس وتخدير الشعب، بنوعية معينة من المشاكل والمواضيع التي لا تكتسي أهمية حتى تضمن بقاءها في الحكم أكبر قدر ممكن، بعد أن تصنع للرأي العام فضاء له اهتماماته وحدوده ليسهل عليها التحكم فيه وتوجيهه، فهي ثقافة وسياسة تقوم على صناعة الأفكار التي تلهي أكثر مما توقظ، وتسلب أكثر مما تفيد، وإذا كانت الأنظمة الاستبدادية والديكتاتوريات قد استعملت في الماضي الرياضة وكرة القدم تحديدًا لإلهاء شعوبها عن قضاياها الأساسية وجعل الناس لا يهتمون بالحكم ويبتعدون عن الاهتمام

بالشأن العام حتى لا يسائلوا من يحكم عن أعماله وسياساته، فإن الأمر قد تطور بما يجعل من الرياضة وسيلة لم تعد تفيد وتنفع في إلهاء الناس اليوم، وهذا يفرض البحث عن إستراتيجية جديدة للتلهية والإلهاء. وهو الأمر الذي يحاول أن يقوم به تركي آل الشيخ باستيراد جميع أنواع الملهيات.

في كتابه "أسلحة صامتة لحروب هادئة" يتحدث المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي عن فكرة إلهاء الشعوب والمجتمعات وعن ثقافة السيطرة على الرأي العام والتحكم في توجهاته فيعتبر "أن الإلهاء هو عنصر أساسي لتحقيق الرقابة على المجتمع من خلال تحويل انتباه الرأي العام عن القضايا الهامة وإغراق الناس بوابل متواصل من وسائل الترفيه وحشو ذهنه بكم كبير من المعلومات بعضها صحيح، وأكثرها من الشائعات لتشويش ذهنه، وحصر اهتمامه في كيفية معرفة ما هو الصحيح وما هو الزائف من هذه المعلومات، وهي إستراتيجية ضرورية لمنع الناس من الوصول إلى المعرفة الأساسية، وجعل الرأي العام بعيدًا عن مشاكله الاجتماعية الحقيقية، وهي سياسة الغاية منها جعل الجماهير لا تفكر ولا تسأل ولا تبحث وحصرها في مشاكل ثانوية لا قيمة لها وإيهامه بأنها قضايا كبرى ومهمة"[19]. وتبدو سياسة الترفيه والإلهاء هي إحدى الوسائل التي أثبتت نجاعتها في دول الجوار وأراد محمد بن سلمان إعادة استنساخها في المملكة، وبالتحديد فإن الإمارات بلغت شأوًا عظيما في "صناعة الترفيه".

ولا بد أن نشير هنا إلى العلاقة الشخصية التي تربط بين ولي العهد محمد بن سلمان مع ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد حيث تداولت وسائل إعلام أمريكية قضية تبعية بن سلمان لابن زايد وهذا ما أكدته تسريبات كشفت عنها مجموعة القرصنة التي تطلق على نفسها اسم "غلوبال

[19] عشر استراتيجيات للتحكم بالشعوب نعوم تشومسكي، نشر مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية
https://alkashif.org/html/10/02/4/187.pdf

ليكس"، للسفير الإماراتي في واشنطن، يوسف العتيبة، ويصف العتيبة، بحسب تسريبات بريده الإلكتروني، القيادة السعودية بـ"غريبة الأطوار"، بحسب ما كشف موقع "ميدل إيست آي" البريطاني، وفقاً لنصوص الرسائل التي حصل عليها عبر مجموعة "غلوبال ليكس". حيث كتب العتيبة في رسالة بتاريخ 21 مايو/أيار 2017، مخاطباً الكاتب في صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية، توم فريدمان، أن "أبوظبي خاضت 200 سنة من الحروب مع السعودية بسبب الوهابية"، مضيفاً "لدينا تاريخ أكثر سوءاً مع السعودية من سوانا". لكنه سرعان ما يستدرك في الرسالة ذاتها قائلاً "مع محمد بن سلمان نحن نرى تغييراً حقيقيّاً، ولهذا نحن متحمّسون. نحن أخيراً نرى أملاً هناك ونريده أن ينجح".

ويؤكّد مصدر مطّلع آخر للموقع، أن وصول ابن سلمان إلى منصب وليّ العهد، في وقت سابق من هذا العام، كان بمثابة "فرصة العمر" للإمارات، من أجل دمغ بصمتها على أكبر جيرانها.

وتؤكّد خيوط تسريبات العتيبة، فضلاً عن مصادر متعددة تحدّثت لـ"ميدل إيست آي"، أن السفير الإماراتي نفسه لعب دوراً في تسويق "الأمير السعودي الشاب" للجمهور المشكّك في واشنطن، في حين كان دور السفارة السعودية "سلبيّاً" وغير فاعل تقريباً.

ثالثا: آثار التغريب السياسي:

1. فقدان الشرعية السياسية واهتزاز هيبة الدولة:

تكتسب الشرعية السياسية أهميتها في كونها المبرر لقيام السلطة السياسية، ثم لأفعال الحكومة المنبثقة عنها اتجاه الأفراد والجماعات ضمن إطارها السياسي؛ فأي سُلطة مهما كانت قوتها المادية تحتاج لمبرر أخلاقي عند منعها أو سماحها بعمل ما. بعبارةٍ مختصرة، الشرعية السياسية تصنع السلطة السياسية، وتسوّغ تصرفاتها، وتسهر على ديمومتها.

فلا يمكن لأي نظام سياسي أن ينهض ويستقر من دون أن يتوافر له القدر الضروري من الشرعية التي تمنحه مبرر وجوده الأخلاقي والاجتماعي والسياسي، وتجعله مطمئناً على سلطته، وقادراً على مواجهة إكراهات الواقع، والتواصل والتفاعل الإيجابي مع مجتمعه، من دون الحاجة إلى اعتماد وسائل الإكراه المادي، والتورط في ممارسات ضد حقوق الإنسان يمكن أن تفضي في النهاية إلى إطاحته.

إن الشرعية تمنح المبرر القانوني لأي إجراءات قد تتخذها السلطة، في أيٍّ من مجالات الدولة والمجتمع، ما يجعل هذه السلطة في علاقتها مع محيطها الداخلي والخارجي، محررة من إكراهات القهر، فتتحقق بذلك جدلية واعية بين النظام الحاكم ومواطنيه، وتُحل الخلافات والصراعات السياسية والاجتماعية بشكل سلمي، ومن ثم يستقر المجتمع بأكمله.

وعلى النقيض من ذلك، فإن النظام العاري تماماً من الشرعية، أو الذي يفتقر إلى بعض من مقوماتها، يكون فاقداً لمبررات وجوده وسلطته، الأمر الذي يجعله مضطراً، من أجل تعزيز مواقعه

إلى اعتماد ممارسات سياسية يطبعها الاستبداد ويؤطرها العنف. ولأن القهر عندما يصبح هو الناظم الأساسي لعلاقة الدولة بالمجتمع يجعل من هذه الدولة دولة سلطوية لا يشق لها غبار، ولأن "اختبار القوة الحاسمة وحده لا يصنع الحق" كما كتب جان جاك روسو في "العقد الاجتماعي"، فإن سلطة النظام في حالة فقدان الشرعية تصبح ملغومة من الداخل، ومع الوقت يتحول النظام نفسه إلى مجرد قشرة يابسة يسهل كسرها، وإزاحتها تماماً، فلا يعود صالحاً للحكم على أي نحو، ويصبح مصيره مفتوحاً على النهاية.

تحتاج أنظمة الحكم المختلفة، بغض النظر عن نوعها وتركيبها وأهدافها، إلى شرعية سياسية لتحكم وتشعر بالأمان وتستحوذ على قدر من ثقة الشعب بها، وذلك حتى يكون باستطاعتها القيام بواجباتها بانتظام.

فالنظام السعودي على سبيل المثال يستمد شرعيته من مصادر أربعة:

أولاً، الشرعية الإيديولوجية: حيث تلعب العقيدة الدينية دوراً مركزياً في تعزيز الشرعية السياسية في المملكة، وذلك ناجم عن قيام النظام السياسي بالتحالف مع المؤسسة الدينية بتبني نظام شرعي، يتعلق بآلية تنظيم المجتمع، وكيفية حراسة إيمانه. ولطالما قدم النظام السعودي نفسه على أنه حامٍ للعقيدة الإسلامية، ومساعداً على نشر الإيمان في أجزاء أخرى من العالم. وقد ساهم في نشر هذه الإيديولوجيا الوفرة المالية التي تحققت بعد اكتشاف البترول، بالإضافة لوجود الحرمين الشريفين التي يقصدها كل المسلمين في العالم.

ثانياً، الشرعية التقليدية: يستند هذا المبدأ على أن الناس اعتادت على طريقة في الحكم متوارثة من الآباء والأجداد، ولم يعرفوا غيرها، فانسجموا معها، كما هي دون قيد أو شرط. في السعودية، نجد بأن العادات والتقاليد تمدّ السلطة السياسية بحزمة من القوة اللامرئية لكنها محسوسة. فالقبائل

تلعب دوراً موحداً ضد النزاعات رغم تراجع زخم القبيلة والقبائلية بعد تبدل دوائر المصالح في النظام الاقتصادي الجديد.

ثالثاً، الشرعية الكاريزمية أو (الشخصية): وفحواه أن السعودية تعتمد على مقام الملك كأب وكشخص قائد للبلاد والعباد، يستطيع النجاح بما تتمتع به شخصيته من مواصفات من لم شتات المجتمع تحت عباءته التي تتخذ العلاقة بينه كحاكم وبين المحكومين شكلاً أبوياً.

رابعاً، شرعية فلسفة الرفاه والسعادة: تنتج هذه الشرعية عن نظام اقتصادي اجتماعي رعوي يقدم خدمات توفر الرفاه والسعادة من خلال أداء الحكومة بزيادة الدور الخدمي للشعب، وينجم عن هذه الحكومة الخدمية الأجندة، والخالية من أي مضمون سياسي، الحق بالحكم عن طريق التزامات توفر للشعب السُبل الفضلى لتلبية حاجاته[20].

كيف عمل التغريب على اهتزاز هيبة وشرعية الدولة السعودية؟

لا شك أن عملية التغريب السياسي في الآونة الأخيرة أثرت بشكل كبير على شرعية مؤسسة الحكم في السعودية، فقد جرى تقليص وتهميش سلطة المؤسسات الدينية إلى حد بعيد بل على النقيض تم السعي لاعتقال العشرات من الدعاة والمصلحين ونشر مظاهر السفور والاختلاط وإقامة حفلات الغناء ما يقوض من دور تلك المؤسسات ويهز من مكانتها أمام العامة، حيث سكتت عن تلك الانتهاكات ولم تبادر إلى إعلان رفضها المباشر.

---

20 الكاتب: محمد الصادق السعودية السلطة والشرعية والاستمرارية

https://www.almqaal.com/?p=798

فبدا أن المملكة العربية السعودية تخلت عن ارتباطها الديني وأصبحت الصورة الذهنية لدى المواطن السعودي أن المملكة ساعية لاستبدال العلمانية بالإسلام، وهذا من شأنه حدوث فجوة كبيرة بين المواطن والدولة، لِمَا هو معلوم من عظيم ارتباط الشعب السعودي بدينه، وأن من مظاهر اعتزازه بدولته: ما لديه من قناعة بأنها قامت على حفظ هذا الدين في الداخل والدعوة إليه في الخارج، وانقلاب هذه القناعة سوف يُحْدِث في نفوس المواطنين انكسارا كبيرا وانصرافا عن دعم الدولة، وبالتأكيد فإن ما يحدث أوجد حالة من الإحباط واضحة بدأت تتكون عند المواطنين ممن عاصروا الفترات الذهبية للمملكة، فبإجراءِ مقارنةٍ بسيطة بين الفترات السابقة والفترة الحالية يدرك المواطن أنه يعيش اليوم في ظل دولة غير مستقرة اقتصادياً وسياسياً، مهددة عسكرياً.

وعلى صعيد آخر فإن الإصلاحات الاقتصادية قد أصابت المواطن بكثير من الأعباء المالية التي لم يكن معتادًا عليها حيث أقرت الضرائب لأول مرة وجرى رفع أسعار الخدمات الأساسية. إضافة إلى سجن العديد من رجال الأعمال والاستيلاء على أموالهم، مما أوجد حالة من عدم الثقة لدى كثير من رجال الأعمال، وقد أصبح ملاحظًا خروج كثير من الشركات من سوق العمل ما يعد إخلالا بشرعية الرفاه والعقد الاجتماعي غير المكتوب بين النظام السعودي والمجتمع.

كما كان للأمن نصيب لا يستهان به، فأُضيفت 60 ألف وظيفة عسكرية جديدة، ناهيك عن صفقات أسلحة تصل إلى 60 مليار دولار وقابلة للزيادة، فرضتها ظروف المرحلة الراهنة التي تعيشها المنطقة العربية، وإلا فإن الأنظمة الملكية لا ترتكز عادة على قوة العسكر كما تفعل الجمهوريات لصون شرعيتها، قدر ارتكازها على قدرة النظام على رسم حالة استقرار داخل الممالك وتوليد اعتقاد بأن المؤسسة السياسية القائمة هي الأكثر ملائمة للمجتمع.

من شأن تلك التغيرات أن تؤثر على مصادر الشرعية الأساسية لدى النظام السعودي بفعل هذا التغريب السياسي للسلطة وتؤدي إلى اهتزازها.

ونستطيع القول إن: التجاهل التام للمشاعر الدينية لدى المجتمع السعودي الذي مازال محافظا، إضافة إلى تدهور الحالة الاقتصادية مع ازدياد حالة الوعي لدى الشباب، وتقليص دور الدين ونشر الحرية الفردية كل ذلك مآله هو اهتزاز الشرعية السياسية للنظام وما هي إلا سنوات معدودة وستبدأ حالة صراع مجتمعي سيكون لها تأثير كبير على استقرار النظام السعودي.

الاستقرار السياسي وفقدان الشرعية:

يعد الاستقرار السياسي قضية حيوية في رخاء المجتمعات، وغيابه يؤثر على كل فئات المجتمع. ويعرّف الدكتور حمدي عبدالرحمن حسن أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة مفهوم عدم الاستقرار السياسي بقوله: ‘‘عدم قدرة النظام على التعامل مع الأزمات التي تواجهه بنجاح، وعدم قدرته على إدارة الصراعات القائمة داخل المجتمع بشكل يستطيع من خلاله أن يحافظ عليها في دائرة تمكنه من السيطرة والتحكم فيها، ويصاحبه استخدام العنف السياسي من جهة، وتناقص شرعيته، وكفاءته من جهة أخرى.

ويُعرف (إكرام عبد القادر بدر الدين) عدم الاستقرار السياسي بأنه "حالة من التغيير السريع غير المنضبط أو المحكوم تتسم بتزايد العنف السياسي وتناقص الشرعية والانخفاض في قدرات النظام".[21]

ويعرُفه "آلان بال" في قوله بأنه "حالة من الاتفاق العام في الرأي بين النخبة و الجماهير حول القواعد التي يعمل بها النظام السياسي وارتباطه بمفهوم الشرعية السياسية"[22]. كما يُعرُف على أنـه

---

[21] د. إكرام عبد القادر بدر الدين، الاستقرار السياسي في مصر (1952 – 1970)، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد (69)، تموز (1982)، ص 30

[22] أحمد الرجوب سلامة رضوان ،الاستثمار الأجنبي المباشر و الاستقرار السياسي في البلدان العربية. رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك،2005،ص75.

"ظاهرة متغيرة نسبياً تؤشر إلى قدرة النظام على إدارة مؤسساته لإجراء ما يلزم من متغيرات لمقاومة توقعات الجماهير واحتواء ما قد ينشأ من صراعات بصورة تحول دون اللجوء إلى العنف السياسي إلا في مجالات معينة وذلك للحفاظ على الشرعية".[23]

بينما تناول عبد الرحمن ابن خلدون مفهوم الاستقرار السياسي من خلال فكرة العصبية التي تقوم عليها معظم نظرياته عن المجتمع والحكم، وذلك باعتبار أن السلطة السياسية يجب أن تتوفر على ركنين أساسيين هما الكيان السياسي، والحاكم. وأن العصبية هي الأساس في اختيار الحاكم للسلطة السياسية لأنها عبارة عن مجموعة من الناس تجمع بينهم روابط الدم والقرابة، تختار من بينها القائد القوي، وترشحه لتولي الحكم وتمنحه رضاها وتأييدها، وهو ما يحمل في مضمونه استقامة المجتمع واستقراره. فالأوطان التي تكثر قبائلها وعصبياتها لا تتمتع بالاستقرار السياسي نتيجة لاختلاف الآراء والأهواء. لذلك فإن عدم الاستقرار السياسي حسب رأي "ابن خلدون" هو النتيجة لعدم التجانس الثقافي.

كما يمكن أن يؤدي الفساد المالي والترف إلى عدم الاستقرار السياسي أيضا؛ كما يقرر ذلك ابن خلدون في قوله "إن أساس الفساد هو الولع بالحياة المترفة بين أفراد الجماعة الحاكمة"، ويعيد تأكيد ذلك بوضوح قائلا: "إنه طور الإسراف والتبذير، يكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه، مستفسدا لكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه .. فيكون مخربًا لما كان سلفه يؤسسون، وهادمًا لما كانوا يبنون"[24]

---

[23] المرجع ذاته،ص75.

[24] عبد الرحمن محمد ابن خلدون، من مقدمة ابن خلدون، اختيار النصوص، سهيل عثمان، محمد درويش، دمشق: مطبعة وزارة الثقافة، 2001 ،ص: 244

استقرار النظام إذًا مرهون بوجود مصالحة حقيقية بين مشروع السلطة السياسية ومشروع المجتمع، بحيث يقوم كل جانب بدوره ويؤديه على أتم وجه في عملية التشييد والبناء، فتتولد بالتالي الثقة والرضا المتبادلين بين السلطة والمجتمع. لأن قوة هذا الأخير تكمن في انسجامه السياسي مع النظام السياسي الذي يحكمه؛ فعندما يحظى النظام بقبول شعبي نتيجة لسياساته المشجعة والتي تتضمن نتائج إيجابية تنعكس على الإفراد والنظام العام؛ فإن المواطن يعد هذا النظام يمثله، وينتج عن ذلك تبني رؤية السلطة السياسية والاقتصادية والمحافظة على النظام الاجتماعي، وهنا يتحقق الاستقرار.

وبشكل مختصر يمكن توضيح الخصائص التي قد تتوافر كلها أو بعضها في إحدى حالات عدم الاستقرار السياسي في مجموعة من النقاط:

- حالة سلبية يمر بها النظام السياسي تتجلى فيها صور من التغيير غير المنتظم أو المتوقع سواء على المستوى الوزاري أو على مستوى تغيير النظام السياسي ككل أو على مستوى التغيير المجتمعي حتى مع بقاء المستوى الحكومي أو مستوى النظام دون تغيير.
- حالة من عدم الرضا الاجتماعي بسبب من فقدان النظام للشرعية والفاعلية وهو ما يعكس عدم استقرار سياسي ساكن.
- من الممكن أن يكون عدم الاستقرار السياسي في مظاهر عدة مثل العنف الموجه نحو الدولة والمجتمع بصيغة الإرهاب أو في شكل الحرب الأهلية أو في صيغة ثورة وتمرد شعبي[25].

أغلب ظواهر عدم الاستقرار السياسي سواء في الدول المتقدمة أو في الدول النامية تنبع من مصادر رئيسة يمكن أن يحتوي النظام بعضها أو كلها لكن أهمها على الإطلاق فقدان الشرعية،

---

[25] حسين أحمد دخيل السرحان، أثر عدم الاستقرار السياسي على مؤشرات التنمية البشرية، بحث منشور في مجلة جامعة آهل البيت، 2015.

الذي يدفع إلى حالة عدم الاستقرار السياسي بما له من تداعيات على مستقبل النظام ذاته. **ويبدو أن عهد محمد بن سلمان يدفع المملكة إلى السير في طريق فقدان الشرعية السياسية والدخول في حالة من عدم الاستقرار السياسي على نحو ما أوضحنا من مؤشرات عملية في سياسة المملكة اتصالا مع أدبيات علم السياسة.**

2. فقدان الزعامة الدينية:

تمتلك المملكة العربية السعودية الكثير من الشروط والأدوات اللازمة لتكون دولة رائدة في المنطقة بل في العالم الإسلامي كله، فمن جهة هي تتوفر على موارد هائلة بفضل النفط، ومن جهة أخرى تمتلك سلطة روحية لأنها مهبط الوحي ولاحتضانها مكة والمدنية، الأمر الذي يجعل المسلمين يوجهون تجاهها أنظارهم ومشاعرهم، ليس الروحية فقط، بل حتى السياسية أحيانا، لكن السعودية فشلت خلال الأعوام القليلة الماضية في زعامة العالم العربي. إضافة إلى ذلك فقد اهتزت الصورة الذهنية للمملكة عند الكثير من الشعوب الإسلامية بما لذلك من تداعيات على المملكة كدولة وكأفراد.

فالصورة الذهنية –المباشرة وغير المباشرة– التي تتكوّن في عقول الناس عن الشعوب والحكومات والمنظمات؛ تتكون وتتطور بواسطة الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة، وعادةً ما تُبنى هذه الصورة على خبرات الإنسان السابقة، وتجاربه، وعلاقاته، ومشاهداته، وحواسه، ومعلوماته، حيث يتم استقبال تصوراته على ما يجري حوله من أحداث ومواقف وقرارات، وتفسيرها بطريقة تضيف إلى التصور الحالي الموجود لديه معلومات جديدة، أو تدعم ذلك التصور، أو تحدث مراجعات محدودة عليه، أو ينتج عنها إعادة بناء كامل لذلك التصور اليوم أمام صورة العالم الذهنية.

لقد أصبح المسلمون في بقاع الأرض يشاهدون اليوم المرأة السعودية وهي تشارك في دورة الألعاب الأولمبية، وتتمايل وهي سافرة أمام الراقصين والراقصات، يشاهدون على شاشات التلفاز الراقصات وهن يكرمن من الهيئات السعودية الرسمية، وهذه التفاصيل وغيرها كثير جعلت شعوب العالم الإسلامي تغيّر رؤيتها عن المملكة السعودية؛ فتراها قد تخلت عن زعامتها الدينية؛ لأن الزعامة تتطلب قدرًا من القناعة وإقراراً لدى شعوب المنطقة بها، والحقيقة أن الصورة الذهنية للمملكة اهتزت بشكل كبير بعد انتشار حفلات الغناء والرقص في المملكة وأصبحت محط تندر بين الشعوب العربية والمسلمة.

لكن الإشكالية أن السعودية حاضنة الحرمين حيث هبط الوحي وانتشر نور الإيمان منها على العالم ليست كأي بلد آخر، وتداعيات ذلك على المواطن السعودي الذي كان يلقى حفاوة في كل بقاع المسلمين بوصفه من بلاد الحرمين إلى شخصية محط كره واستهجان إذ حولوا بلادهم موطن الإسلام إلى سينمات ومراقص وغناء وسفور.

ولا تتوقف الصورة الذهنية على المجال الديني، فالمجال السياسي أيضا تضرر كثيرا فالمملكة كثيراً ما كانت تلعب دور الوسيط والجامع للحوار لدول الجوار وقت حدوث الأزمات، ولنا أن نقارن موقف المملكة من لبنان التي جمعت الأطراف المتنازعة وخرجوا باتفاق عرف ب"اتفاق الطائف: هو للآن يعد ضمانة الاستقرار بين الطوائف المختلفة في لبنان، وما قام به الأمير محمد بن سلمان من احتجاز رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري دون إرادة منه، وهو ممثل للطائفة السنية في لبنان، فأي خسارة خسرتها المملكة على الصعيد السياسي والشعبي، وأي صورة ذهنية صارت لدى عموم السنة في لبنان بعد احتجاز ممثلهم السياسي.

أضف إلى ذلك مشاركة المملكة وقيادتها للتحالف في الحرب اليمنية، التي طال أمدها وتتسبب بمقتل العشرات يوميا إما قتلا أو مرضا. وتزكيتها للصراع الليبي عبر دعم اللواء المتقاعد خليفة حفتر مع وجود حكومة شرعية معترف بها دوليا.

ورغم كل الانتكاسات السابقة تحاول السعودية الآن الحصول على زعامة جديدة تتخلى فيها عن مكانتها الدينية، مبشرة بأيدولوجيتها العلمانية الجديدة . الأمر الذي أفقدها كثيرًا من حلفائها القدامى بسبب تبنيها لتلك السياسات، فعلاقتها صارت متأزمة مع المغرب والأردن والسودان وتحاصر قطر، والواقع أن علاقة السعودية مع جيرانها العرب صارت مضطربة كثيرا، بسبب سياسات ابن سلمان (في اليمن السعودية تنفق ثروة طائلة وإيران تدفع مبلغا زهيدا لدعم عملائهم والرياض تحت تهديد الضربات الصاروخية، وطهران ليست كذلك)، وهذا يقودنا إلى أثر ثالث من آثار التغريب السياسي وهو:

3- (تهديد العمق الاستراتيجي للمملكة) واضطراب وتدهور العلاقة مع المحيط الإسلامي والعربي:

كما تقدم فإن الممارسات العلمانية التي تقود عملية تغريب المجتمع السعودية وانعكاس ذلك على الصورة الذهنية للمملكة، إضافة إلى الانجراف والانحدار المتسارع خلف المشروع الأمريكي أدى إلى اضطراب علاقة المملكة مع جيرانها ومحيطها العربي والإسلامي بصورة غير مسبوقة، وأصبحت كثير من الدول تشعر بقلق وتوجس كبير من التوجهات الجديدة التي لا يمكن التنبؤ بمداها في كثير من الأحيان.

وهو ما يعني تهديد العمق الاستراتيجي للمملكة فـ"العمق الإستراتيجي" لأي دولة ينبع من قيمة الدولة في العلاقات الدولية ويتحدد بشكل رئيس من موقعها الجيوإستراتيجي، وعلاقاتها مع دول الجوار ومن عمقها التاريخي. وقد أدت سياسية بن سلمان إلى تدهور علاقات المملكة مع

دول الجوار التي تمثل عمقا استراتيجيا للدولة، فاليمن أصبح خاصرة رخوة يتم الضغط على المملكة من خلاله وتستخدمه إيران من خلال ذراعها الحوثي لتهديد مصالح السعودية، الأمر الذي أكدته عملية استهداف المنشآت البترولية في أبريل 1918م[26]، إضافة إلى الأزمة القطرية، وهي الأزمة التي هددت بنية مجلس التعاون الخليجي وسلطنة عمان اختطت لنفسها سياسة الحياد، والكويت تلعب دور الوسيط. واهتززت مكانة المملكة في العالم العربي إلى المستوى الذي يدفع باستجداء الدعم السياسي من الدول العربية والدعوة إلى عقد قمة عربية في مكة إثر استهداف الحوثيين للمنشآت النفطية في المملكة، وعدم تلقي الدعم السياسي الكافي من الدول العربية.

4- التبعية السياسية:

لا يتصور أن يجادل أحد في تبعية السعودية للغرب عموما وأمريكا على وجه الخصوص ودورانها في فلكها، ولكن لم يسبق أن وصل مستوى التبعية لأمريكا خصوصا إلى هذا المستوى من قبل، فقد كانت هناك مساحات وإن كانت محدودة للممانعة والمناورة، وفي الوضع الجديد يكفي مؤشرا على مستوى التبعية الشديدة سيل الابتزازات الاقتصادية التي يعلنها الرئيس الأمريكي ترامب بمناسبة ودون مناسبة ومستوى اللغة في خطابه، والتي لا تجد أدنى ردة فعل، ولك أن تقارن ذلك بالموقف المتشنج من تصريحات كندا حول بعض انتهاكات حقوق الإنسان في السعودية.

26

https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/2019/05/14/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%87%D8%AF%D8%A7%D9%81-%D9%85%D8%AD%D8%AF%D9%88%D8%AF-%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%B7%D8%AA%D9%8A-%D8%B6%D8%AE-%D9%84%D9%84%D8%A8%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%84

ولم تقف التبعية السياسية عند هذا الحد بل وصلت إلى حالة تسعتصي على الفهم في تبعية السياسة السعودية للسياسة الإماراتية؛ إذ كيف لدولة مثل السعودية بثقلها السياسي والاقتصادي والديني والجغرافي والتاريخي أن تكون ظلا للسياسات الإماراتية المريبة!!!

لا يخفى على المتابع للمشهد السعودي تنامي المعارضة السياسية الخارجية للسعودية بشكل غير مسبوق ليس في الكم بل حتى في الشرائح المختلفة والتيارات المتنوعة ما بين رجال ونساء، وكبار وشباب، ومن النخب المثقفة ومن أناس بسطاء في طرحهم، ومن يحمل توجها إٍسلاميا ومن لا يحمل، وبأبعاد دينية وحقوقية واجتماعية وغيرها.

وارتباط ذلك بالتغريب السياسي هو من جهة التناقض الصارخ في التوجه الجديد الذي يمكن لليبرالية الفردية وفي نفس الوقت يمارس القمع والعنف تجاه الحريات السياسية، فأصحاب التوجهات الإسلامية لا يرتضون التغريب الذي يفرض على المجتمع ويغير من هويته الإسلامية، والنشطاء الحقوقيون بشتى توجهاتهم لا يرتضون الممارسات والسياسات القمعية والعنف تجاه المطالبة بالحقوق السياسية وهذا ما نحذر منه.

5- تنامي المعارضة السياسية:

لا يخفى على المتابع للمشهد السعودي تنامي المعارضة السياسية الخارجية للسعودية بشكل غير مسبوق ليس في الكم بل حتى في الشرائح المختلفة والتيارات المتنوعة ما بين رجال ونساء، وكبار وشباب، ومن النخب المثقفة ومن أناس بسطاء في طرحهم، ومن يحمل توجها إٍسلاميا ومن لا يحمل، وبأبعاد دينية وحقوقية واجتماعية وغيرها.

وارتباط ذلك بالتغريب السياسي هو من جهة التناقض الصارخ في التوجه الجديد الذي يمكن لليبرالية الفردية وفي نفس الوقت يمارس القمع والعنف تجاه الحريات السياسية، فأصحاب

التوجهات الإسلامية لا يرتضون التغريب الذي يفرض على المجتمع ويغير من هويته الإسلامية، والنشطاء الحقوقيون بشتى توجهاتهم لا يرتضون الممارسات والسياسات القمعية والعنف تجاه المطالبة بالحقوق السياسية.

وأخيرا:

لا تبدو أن عمليات التغريب السياسي في المملكة ستتوقف في القريب، فعلمنة السياسة السعودية ولبرلة المجتمع تجري على قدم وساق، وتبدو سيكولوجية القائمين على النظام في المملكة قائمة على الصلابة أكثر من المرونة، وقائمة على إنفاذ أيدولوجية أكثر منها قائمة على استراتيجية البقاء في السلطة، إضافة إلى الوضع الدولي والإقليمي والدولي الذي يبدو من الهشاشة ما يسمح بمثل ذلك التهور السياسي، كما تبدو الشعوب في حالة من الإحباط وانسداد الآفاق.

كل تلك العوامل تؤشر إلى استمرار عملية التغريب السياسي، وأن مستقبل المملكة أضحى محفوفاً بالمخاطر، والخطر ليس من الممانعة لسياسة التغريب بل على النقيض الخطر على بقاء الدولة واستمرار الحكم مع تشبع المجتمع بالليبرالية؛ إذ أن مآلاته ستكون وخيمة في ظل ازدياد حالة الوعي لدى الشباب وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي وتطلعات الشعوب.

والحقيقة أنه عندما يتشبع المجتمع بالليبرالية ويتم إقصاء المؤسسات الدينية والتضييق عليها وإقصاء الدعاة والعلماء، عندها سيتطلع الشباب إلى المطالبات بالحرية السياسية وتكوين الأحزاب والجمعيات وحرية التعبير على الرأي والمطالبة بحقهم في اختيار من يحكمهم، فمضمون الليبرالية هو الحرية المطلقة ولا يمكن أن تبقى محصورة في مجال فردي اجتماعي دون ولوجها إلى المجال السياسي، والاقتصادي والشأن العام. هنا سيصبح النظام في حاجة إلى شرعية جديدة نتيجة التغير القيمي والمعرفي في مخيال الشباب، الذي تحول من السمع للمؤسسات الدينية ورموزها الذي يستمد النظام منهم شرعيته إلى وسيلة أخرى تتواكب مع التوجهات التي تم إرساؤها في المجتمع، وإلا سيحدث تنافر كبير بين النظام والمجتمع، والذي سيؤدي بالضرورة إلى حالة من فقدان الشرعية ثم إلى حالة من عدم الاستقرار، والذي بدوره قد يقود إلى حالة من اهتزاز السلطة ومن ثم فقدنها بالكامل أو حدوث حالة من الصراع والفوضى داخل المجتمع.